أساليب التربية المتغيرة في الأسرة الجزائرية

الأستاذ الدكتور: بلقاسم سلاطنية / الأستاذة:حنان مالكي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر

الملخص:

نظرا للتعقيد الذي تتسم به الحياة المعاصرة للمجتمعات، وما صاحبه من تغير في شتى مجالات الحياة الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية، والمجتمع الجزائري هو أحد هذه المجتمعات الذي أخذ يظهر عليه هو الآخر بشكل سريع مؤشرات وملامح هذا التغير، الذي مس مختلف بنياته ومؤسساته التقليدية كالأسرة؛ التي حاولت انتهاج أساليب للتربية لتلقين وتوجيه سلوك أبنائها لتتوافق مع هذا التغير.وسنحاول في هذا المقال تسليط الضوء على مختلف أساليب التربية الممارسة في الأسرة الجزائرية والوقوف على أهم أسباب تغير هذه الأساليب من أسرة إلى أخرى.

Abstract:

Given the complexity that characterizes contemporary life of the communities, and the accompanying change in the various spheres of economic, cultural, social, and Algerian society is one of these communities, which is emerging it is also rapidly indicators and features of this change, which touched all its structure and institutions of traditional, such as family; that tried to Education a approaches to teach and guide the behavior of their children to conform with this change. We will try in this article shed light on the various methods of education practice in the Algerian family and stand on the most important reasons for this change methods of family to another.

تمهيد:

لقد أوجد المجتمع الأسرة لتقوم بمهمة التنشئة الاجتماعية، والتي هي من أهم العمليات تأثيراً على الأبناء في مختلف مراحلهم العمرية، لما لها من دور أساسي في تشكيل شخصياتهم وتكاملها، وهي إحدى عمليات التعلم التي عن طريقها يكتسب الأبناء العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة في بيئتهم الاجتماعية التي يعيشون فيها، فالأبناء يتلقون من الأسرة مختلف المهارات والمعارف الأولية، ويبرز دورها فى توجيه وإرشاد الأبناء بعدة أساليب تتبعها في تربيتهم، وهذه الأساليب قد تكون سويه أو غير سوية، تقليدية أو حديثة، فكل أسلوب ينعكس على شخصية الأبناء وسلوكهم.

كما لا يمكن إنكار تأثير المتغيرات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية عبر مختلف المراحل الزمنية في تحديد الأساليب التربوية المتبعة في الأسرة؛ والأسرة الجزائرية كغيرها من الأسر تأثرت بالمتغيرات سالفة الذكر.؛ فلقد تغيرت التربية الأسرية في الأسرة الجزائرية مع تغير المجتمع الجزائري وتغيرت معها مفاهيم وقيم جديدة تتماشى مع هذا التغير؛ فحاولت الأسرة أن تكيف أساليب تربيتها لأبنائها على أساس المرحلة الجديدة التي عرفتها بعد الاستقلال مباشرة، فعملت على تطبيق تهذيب سلوك أبنائها مستعملة أسلوب الثواب والعقاب، لكي يتعلم الطفل تجنب كل الأفعال التي لا يقبلها المجتمع والتعايش وفق تعاليمه ومبادئه.

إن التغير الذي عاشته الأسرة الجزائرية لم ينتج بنية أسرية منسجمة ومتوافقة، بل أنتج بنى أسرية يغلب على بعضها طابع الحرية والتفتح ونبذ التقاليد والعادات وبنى أخرى تميل للمحافظة على التقاليد ورفض المعايير الجديدة، وبنى أسرية أخرى تأقلمت مع نمط المعايير الجديدة مع الاحتفاظ بمجموعة من العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية والدينية؛ ليشكل فيما بعض النمط الأول –النابذ للعادات والتقاليد– نموذج الأسرة النووية، وهي التي أصاب التحول مختلف البنيات المكونة لها، وأدى إلى استقلالها الذاتي في السكن والمعيشة وشكل النمط

المحافظ والرافض للمعايير الجديدة؛ الأسرة الممتدة، وهي أسرة تقليدية محافظة على مستوى القيم الدينية والأخلاقية، وكذا على الأعراف والتقاليد، أما النمط الثالث فنجده ممثلا في بنية الأسرة المتحولة؛ وهي التي نالت حظا من التغير ولكنه لم بكن شاملا ومتوافقا، وهنا أصاب التغير الأساليب التربوية، واختلفت من نمط أسري لآخر، وهذا نتيجة عوامل متعددة سنحاول ذكرها في نقاط لاحقة.

أولا: الأسرة والأساليب التربوية

1-1- **الأسرة الجزائرية (مفهومها، تطورها، خصائصها):**

قبل التطرق لمفهوم الأسرة الجزائرية، سنحاول إعطاء تعريف لمصطلح الأسرة في اللغة والاصطلاح.

بالرغم من أن الأسرة مؤسسة معروفة لكل إنسان، باعتبارها أهم مؤسسة اجتماعية يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع، وكل واحد يعتقد أنه يعرف عنها كل شيء، إلا أن العلماء بتعدد تخصصاتهم واتجاهاتهم النظرية والفكرية، لم يستطيعوا إعطاءها تعريفا شاملا واضحا ودقيقا، ذلك لأنه ليس بالأمر السهل، وذلك لتنوع حجمها وتعقد بنيتها ووظائفها وعلاقاتها من مجتمع لأخر، ومن فترة زمنية إلى أخرى[1].

أ- الأسرة في اللغة:

"هي الدرع الحصينة، وأهل الرجل وعشيرته، وتطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك، وجمعها أسـر"[2].

- مشتقة من الأَسْر: تعني القيد، يقال أَسَرَ أَسْرًا وآسِرًا: قَيَدَهُ وأَسَرَهُ، أخذه أَسِيرًا، والأَسْرُ أنواع: قد يكون الأسر مصطنعا أو اصطناعيا كالأسر في الحروب.

فالأسرة بمعناها اللغوي تعني الأسر والقيد، تأصل الأسرة هو التقيد برباط، ثم تطور معناها ليشمل القيد برباط أو دون رباط، وقد يكون القيد أمرا قصريا لا مجال للخلاص منه، وقد يكون اختياريا ينشده الإنسان ويسعى إليه، ولعل معنى

الأسرة اشتق من المعنى الاختياري؛ إذن فمعنى الأسرة في اللغة لا يخرج عن معنى الأسر والقيد.

ب- في الاصطلاح:

جاء في **معجم علم الاجتماع** أن "الأسرة هي عبارة عن جماعة من الأفراد يرتبطون معا بروابط الزواج والدم والتبني، ويتفاعلون معا، وقد يتم هذا التفاعل بين الزوج والزوجة، وبين الأم والأب، وبين الأم والأب والأبناء، ويتكون منهم جميعا وحدة اجتماعية تتميز بخصائص معينة"[3]؛ إذن فالأسرة حسب المعجم الاجتماعي تقوم على التفاعل بين مجموعة من الأفراد سواء الأب والأم وبين الزوج والزوجة، وبين الوالدين والأبناء، يربط بينهم الدم والتبني، مشكلين وحدة اجتماعية ذات خصائص محددة.

فمن **المنظور السوسيولوجي** تشير كلمة "أسرة" إلى معيشة الرجل والمرأة معا على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات كرعاية الأطفال وتربيتهم[4]؛ فأساس قيام الأسرة هو الزواج، فيشكل بذلك الرجل والمرأة جزءان متكاملان أساس العلاقة بينهما المودة والرحمة والسكينة، وهذا **لقوله تعالى**: "**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء**"[5].

1-1-1- مفهوم الأسرة الجزائرية:

الأسرة الجزائرية التقليدية (العائلة)، كانت أسرة ممتدة مركبة متصلة برابطة الدم، وهو النمط المكون من عدد كبير من الأفراد تجمعهما في الغالب صلة القرابة، " فالعائلة الجزائرية هي عائلة موسعة، تتضمن عدد كبير من الأفراد يتراوح عددهم من 20-60 شخص يعيشون جماعيا"[6]، وتعتبر العائلة الجزائرية عائلة بطريقية، يكون فيها الأب أو الجد هو قائد الجماعة.

أ- التعريف والنشأة:

لقد حاولنا البحث في العديد من المكتبات النظامية والالكترونية عن مراجع أو دراسات تناولت الدول العربية من الناحية السوسيولوجية، فوجدناها قليلة جدا، فلا بد أيضا من الإشارة إلى أن الدراسات الخاصة بالأسرة الجزائرية محدودة بل ونادرة، وبالأخص منها تلك الدراسات التي تتعرض للعلاقات الأسرية ولبناء الأسرة وتغيير وظائفها والمشكلات التي تتعرض لها، وإذا كانت هناك دراسات فهي ذات طابع اثنوغرافي، تتعلق ببعض العادات كالأزياء والحلي والوشم والزواج وأثاث المنزل وغيرها.

لعل من أهم الظواهر المنتشرة والمرابطة بالأسرة الجزائرية في الآونة الأخيرة، تحولها من نمطها الممتد الواسع إلى نمط الأسرة الحديثة المحدودة الأطراف، نتيجة التغيير الكبير الذي صاحب التغيرات في المجتمعات الصناعية، وانتشار اتجاه استقلالية الأسرة النووية عن وحدات النسق الأسري الكبير، حيث خضع المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الأخرى إلى صيرورة تاريخية في مراحله المختلفة، بدءا من الفترة الاستعمارية التي امتدت من سنة 1830 إلى 1962، أما بالنسبة لفترة ما بعد الاستقلال والتي امتدت من عام 1992 إلى الوقت الحاضر، فقد شهدت فيها الجزائر تحولات وتغيرات سريعة في مسيرتها نحو التقدم، باعتبارها بلد متطلع في مجالات كثيرة السياسية فيها والاجتماعية والثقافية، وكل تحول في المجتمع ينعكس أثره بالدرجة الأولى على كافة الأبنية الاجتماعية، ومنها البناء الأسري، فعلى سبيل المثال زيادة نسبة الولادات مثلا تمس المجتمع مباشرة، وذلك بزيادة النمو الديمغرافي والذي يترتب عنه بعض الآثار السلبية، كارتفاع نسبة البطالة، وانخفاض الدخل الفردي وبالتالي ضعف في المستوى المعيشي وغيرها من المشكلات الاجتماعية المصاحبة.

فالأسرة الجزائرية بعد أن كانت أسرة ممتدة (عائلة موسعة) ذات أطراف متعددة، أصبحت عائلة محدودة العناصر (أسرة نووية) وتعرف هذه المرحلة بمرحلة انقسام العائلة، كما أن الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري أصبحت خاضعة إلى

التغيير قصد التجديد في جميع الميادين، ولهذه العملية وغيرها وسائل وأساليب معينة كالسياسة التنموية والمواثيق الرسمية وغيرها، والهدف من ذلك تكوين مجتمع متطور قادر على أن يدمج الأسرة النووية في كل المسالك، وأن تكفل لها ولأفرادها من آباء وأبناء؛ الاحتياجات التي تتطلبها الحياة العصرية.

وإذا أردنا إعطاء تعريف الأسرة الجزائرية، بعد أن عرفنا مفهوم مصطلح الأسرة في نقاط سابقة، نجد أننا وجدنا تعريف لما كان يطلق على الأسرة الجزائرية اليوم ألا وهو مصطلح العائلة الجزائرية، وهذا ما يقابل الأسرة الممتدة، نتعرض أولا لتعريف ما اصطلح عليه سابقا بالعائلة في قاموس علم الاجتماع لـ Emilio Willems ، حيث يعرف العائلة كالتالي: "هي المؤسسة الأساسية التي تشمل رجلا أو عددا من الرجال يعيشون زواجيا مع امرأة أو عدد من النساء ومعهم الخلف الأحياء وأقارب آخرين وكذلك الخدم"؛ هذا التعريف للعائلة ما يقابله الأسرة الممتدة اليوم هو تعريف اجتماعي، يحدد أعضاء الأسرة حيث يشمل الرجل أو الرجال، الزوج أو الأزواج، المرأة أو النساء والأقارب (زوجة الابن وزوجة الأخ وآخرين) ثم الخدم فهم يعدون ضمن أفراد هذه الأسرة الكبيرة، فالعائلة هي إنتاج جماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد وتتطور فيه، فالعائلة تتحول حسب ظروف المجتمع الذي تنتمي إليه.

ولقد عرف الباحث "مصطفى بوتفنوشت" العائلة الجزائرية على أنها: "هي عائلة موسعة، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية وتحت سقف واحد (الدار الكبرى) عند الحضر والخيمة الكبرى عند البدو، إذ نجد من 20 إلى 60 شخص أو أكثر يعيشون جماعيا"[7].

1-1-2- تطور الأسرة الجزائرية:

لا نستطيع معرفة التحولات التي عرفتها الأسرة الجزائرية المعاصرة دون الإلمام بالخصائص السوسيولوجية للعائلة أو الأسرة التقليدية، كما أننا لا نستطيع الوقوف على طبيعة وحجم التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري، دون أن نقوم

بتحديد الوحدات الاجتماعية التي كان يتركب منه المجتمع الجزائري التقليدي، وبيان خصائصه على مختلف الأصعدة، وإبراز السمات الأساسية التي ميزت التحديث في الجزائر، وطبيعة التحولات التي صاحبت مسيرتها، والذي نجم عنه تحول في مختلف الأنساق البنائية والوظيفية وكذا في نسق العلاقات الداخلية للأسرة الجزائرية، فأصبحت للأسرة الجزائرية مميزات أخرى تختلف في كثير من الأحيان عن تلك التي ذكرها الباحث "مصطفى بوفنوشت"، فالأسرة الجزائرية لم تعد تلك الأسرة الكبيرة التي تعيش في كنفها عدة أسر زواجية، فالأبناء الآن بعد زواجهم يستقلون عن العائلة الكبيرة، فتحولت العائلة الجزائرية تدريجيا إلى أسرة نووية، ومع ذلك احتفظت في كثير من الأحيان بوظائف الأسرة الممتدة، "حيث تجمع بين خصائص الأسرة الحديثة ووظائف الأسرة التقليدية، وهذا ما يظهر خاصة في الجيل الأول (الآباء) وبدرجة أقل في الجيل الثاني (الأبناء)، أما الجيل الثالث (الأحفاد) فيتجه في الغالب نحو شكل الأسرة الزواجية (النووية)"[8].

1-1-3- خصائص الأسرة الجزائرية:

تتميز الأسرة الجزائرية بخصائص وسيمات عامة، تشترك فيها مع نظيراتها في الوطن العربي، كما أنها تتميز بخصائص وسيمات أخر ى، أوجدتها ظروف تاريخية وثقافية، واجتماعية، واقتصادية، أضفت عليها طابع الخصوصية؛ وقد عرفت الأسرة العربية ثباتا واستقرارا منذ عدة قرون، إلا أن هذه العلاقات تشهد تغيرا سريعا في وقتنا الحاضر، كذا هو الحال بالأسرة الجزائرية التي مرت بمراحل متعددة في نشأتها وتطورها، ومنه تأثرت وظيفتها في ظل هذه التغيرات والتطورات، إلا أن للأسرة العربية عموما عدة مميزات لا تتغير كثيرا، وتمتاز الأسرة الجزائرية بعدة خصائص منها :

- الأسرة الجزائرية هي عائلة موسعة,حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجيه تحت سقف واحد تسمى "الدار الكبرى" عند الخطر و(الخيمة الكبرى) عند البدو نجد من 20 إلى 60 شخص وأكثر يعيشون جماعيا[9].

2- العائلة الجزائرية هي عائلة بطريقية، الأب فيها والجد هو القائد الروحي للجماعة الأسرية وينظم فيها أمور تسيير الجماعة وله مرتبة خاصة، تسمح له بالحفاظ غالبا على مركزه في الأسرة بواسطة نظام محكم على تماسك الجماعة المنزلية، وفيها النسب ذكوري والانتماء أبوي، والمرأة يبقى انتماؤها لأبيها.

3- تنتقل المسؤولية من الأب إلى الابن الأكبر حين غيابه وهدا للحفاظ على التوازن داخل الأسر.

4- إن العائلة الجزائرية هي عائلة متماسكة أي أن الأب له المسؤولية على كامل الأفراد فالبنات لا يتركن البيت إلا عند زواجهن والأبناء لا يتركون البيت الكبيرة.

5- العائلة مصطلح يفهم منه تماسك الجماعة الأسرية الجزائرية التي يصفها ابن خلدون بالعصبية فبواسطتها تطورت القبائل نحو السلطة ونعني بها الشرف الأكبر، الذي يوضح الموقع الروحي والاقتصادي للجماعة في الأسرة.

ثانيا: الأساليب التربوية في الأسرة الجزائرية

2-1- مفهوم أساليب التربية الأسرية:

ويطلق على أساليب التربية الأسرية أيضا "المعاملة الوالدية"، ويعرفها "**اسماعيل وفام**" بأنها: "ما يقوم به الآباء ويتمسكون به من أساليب في تربيتهم ومعاملتهم لأبنائهم في مواقف حياتهم المختلفة". أما **برونو** فيعرفها بأنها: "الخصائص والمميزات لنمط السلوك المعروض من قبل الوالدين تجاه الأطفال والمراهقين. وهي الأساليب التي يتعامل بها الآباء والأمهات مع الأبناء في تربيتهم وتنشئتهم كما يدركها الأبناء.

فهي تلك التقنيات والطرق التي تستخدمها الأسرة في تربية أبنائها وتربيتهم من أجل الحصول على الميزان الثقافي والاجتماعي وبناء الشخصية الاجتماعية الوظيفية، فمعايشة الآباء للتغيرات السريعة في المجتمع دفعت بعضهم

إلى رفض أساليب التربية المتوارثة والبحث عن أساليب جديدة، والتي تعكس بدورها الأنماط والقيم الثقافية الجديدة لكي تصبح جزءا من شخصية الوالدين، "حيث يكشف لنا بحث الوالدين عن أساليب جديدة لتنشئة الصغار أن هذه الأساليب متجددة وتنبع من الظروف التي يعايشها الوالدان"[10].

2-2- أنواع أساليب التربية الأسرية في الأسرة الجزائرية:

يمكننا التمييز فيما يلي بين ثلاثة أنواع بارزة لأساليب التربية الأسرية في الأسرة الجزائرية، ارتبط كل نوع بنمط من أنماط الأسرة الجزائرية (التقليدية(الممتدة)، النووية والمتحولة).

2-2- 1- أساليب التربية الأسرية التقليدية:

وهي الأساليب التربوية المستعملة من طرف الآباء من أجل تنشئة الطفل وذلك عن طريق التهديد واللعنة والعقوبة من أجل تقويم كل عيوب الطفل، والضرب كتعبير عن التأديب، وكذا تعويد الطفل وترويضه على الصبر والخضوع للأكبر منه سنا.

ونجد هذا الأسلوب في الأسرة التقليدية التي تقوم على التفريق بين الجنسين؛ فهي تربي البنت لجعلها مؤهلة للحياة الأسرية كأم، أخلاقيا ودينيا وذلك بتلقينها العفة القائمة على الحياء وتربيتها على الصبر ومواجهة المشاكل، إضافة إلى تعليمها الأشغال المنزلية، فالزواج عند البنت في هذه الأسرة هو الهدف الأسمى، أما الولد فيربى على قيم الرجال فيميل إلى مصاحبتهم ولا يكثر الجلوس في المنزل فيقضي معظم وقته خارج البيت، وحتى ان درست البنت، فمكانها يبقى دائما هو البيت، فلا يسمح لها بالخروج إلا في أوقات الدراسة، لتقوم فيه بالمذاكرة أو شغل البيت، على عكس الولد الذي ترى الأسرة أن الشارع هو مكانه الطبيعي ولا يسأل عن المدة ولا المكان الذي كان فيه، وهناك من يضطر إلى العمل(غير رسمي) كبيع السجائر مثلا...الخ، فنجد أن البنين هم أكثر عرضة استعانة الأسر بهم، مما يؤدي إلى عجز الآباء في السيطرة على الطفل، وهذا لقضاء معظم أوقات فراغه

خارج المنزل بعيدا عن مراقبة الأهل وتوجيههم، أما البنت فتقضي معظم الوقت في المنزل نتيجة قيود وعادات اجتماعية معينة، مما يسهل مراقبتها ومتابعتها.

وتقوم التربية في الأسرة التقليدية(الممتدة) على العديد من الأساليب التقليدية؛ نذكر منها:

أ- أسلوب القسوة والتسلط:

"ويعني التسلط عدم مراعاة حرية الطفل في إبداء رأيه واتخاذ القرارات نيابة عنه، وفرض الرأي عليه باستخدام بعض الأساليب القاسية كالزجر والتأنيب وغيرها"[11]، ويمارس المربي الذي يطبق هذا الأسلوب المنع والرفض لرغبات الطفل، ومنعه القيام بما يرغب فيه والصرامة والقسوة في معاملة الأطفال وتحميلهم مهام ومسؤوليات فوق طاقاتهم، وتحديد طريقة أكلهم ونومهم ودراستهم، ومعاقبتهم عند قيامهم بسلوكات خاطئة لا ترضي الآباء المجتمع، ويستخدم الوالدان هنا العقاب البدني والتعبير اللفظي؛ كالشتم والإهانة والحرمان العاطفي والمادي، وأحيانا الطرد من البيت، وهذا الأسلوب متداول كثيرا داخل الأسرة الجزائرية، حيث يميل الوالدان للسيطرة وفرض معايير السلوك التقليدية باستخدام السلطة، وعندما يخطأ الطفل لأول مرة يواجه بالسب واللعن والضرب، هذا ما يدفع بالطفل من الإصرار على إتباع السلوك السيئ، خاصة إذا ما اقترن هذا بفضح بعض الأولياء لتصرفات أبنائهم أمام الغير، مما يولد في نفسيتهم الحقد والشعور بالنقص، فالشتم أو إثارة الألم النفسي يؤدي بالأطفال بالشعور بالذنب، وتأنيبهم والتقليل من شأنهم باستعمال ألفاظ تؤثر فيهم، كما يؤدي كثرة العقاب البدني والضرب إلى عدم الثقة بالنفس وينشأ الطفل في جو مشحون بالعنف كما يؤثر على شخصيته مستقبلا ويؤثر على تحصيله الدراسي بالسلب، كما يؤدي كثرة العقاب إلى الشعور بالنقص والارتباك، وهذا ما نلاحظه مثلا في مدارسنا لما المعلم بضرب التلاميذ أمام الآخرين فيحس بشعور النقص ويخجل أمام أصدقائه ويرتبك أمام المعلم إذا طلب منه الإجابة على الأسئلة.

ب- أسلوب التفرقة:

كثيرا ما يلجأ الآباء إلى التفرقة بين الأبناء في المعاملة وعدم المساواة بينهم بسبب الجنس أو السن أو ترتيب الولد أو لأي سبب آخر، وهذه التفرقة قد تترتب عليها تكوين شخصيات مليئة بالغيرة، فترتيب الولد في أسرته عامل مهم في التنشئة، بحيث يظهر الولد الأول بأكثر نسبة من الاهتمام والتشجيع من طرف الآباء وتحفيز طموحه، ويليه في ذلك الابن الأصغر، أما الذين يتوزعون في غير ذلك فهم يتأرجحون بين الاعتدال والإحباط في إثارة الأهل[12]، فيمنح الابن الأكبر امتيازات أكبر من إخوته خاصة بعد عجز الوالد أو حدوث مكروه له أو موته، فالسلطة الثانية هي للابن الأكبر-ونجد هذا داخل الأسرة الجزائرية-، وتظل هذه النظرة قائمة حتى بعد ولادة أطفال آخرين، بالأخص بالنسبة للأم، أما مركز الابن الأخير فيولى اهتماما خاصا اتجاه والديه ويتلقى تنشئة تختلف عن بقية الإخوة، لأن علاقته هنا يغلب عليها عاطفة الخوف والعاطفة، فلا يسمح له بالقيام بمعظم الأعمال، فهم بهذا ينظرون إليه أنه دائما صغير، ويعملون على إطالة مدة طفولته، وهذا يجعل منه في مرحلة المراهقة شخصية اتكالية مدللة، صعبة التكيف مع الواقع الاجتماعي، أنانية تعودت أن تأخذ دون أن تعطي.

2-2-2- أساليب التربية الأسرية الحديثة:

وتظهر أساليب التربية الحديثة في نمط الأسرة النووية، وفيه تتم عملية تعليم الطفل ابتداء من الأسرة إلى الروضة إلى التعليم التحضيري القرآني أو الروضة، وصولا إلى التعليم الإلزامي، ولا يصل المتعلم إلى مرحلة عالية من التعليم، إلا إذا تلقى تنشئة تساعده على ذلك، فنجد مثلا في الريف سابقا، كانت الفتاة تنقطع عن الدراسة في المرحلة المتوسطة، وهذا لبعد المسافات وما تتطلبه من مصاريف النقل والأكل، خاصة الفتاة التي تحكمها عادات صارمة من طرف الأسرة، وهذا ما لا نجده في المدن التي تتوفر فيها هياكل تعليمية والتي تشجع على الدراسة وإقبال الفتاة عليها، وهذا راجع إلى نوع التنشئة التي تتلقاها في المدينة من

تشجيع على الدراسة كوسيلة تؤهلها للعمل في المستقبل، لكن في الوقت الحالي، ومع تحسن الظروف الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، أصبح حظ الفتاة الريفية مثل حظ الفتاة الحضرية التي تقطن في المدينة، فلها الحق في التنقل للدراسة، خاصة مع ازدياد الوعي الثقافي عند الأسرة الجزائرية، والتسهيلات التي وفرتها مختلف هياكل الدولة، المادية منها والمعنوية، وذلك من خلال بناء المدارس في الأرياف والمناطق النائية وتهيئتها بجميع بما تحتاجه لتقوم بدورها التربوي على أكمل وجه.

فنتيجة للتغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري في عملية التحضر، أدت إلى تغير بنياته من بناء اجتماعي متميز، يغلب عليه سيادة التقاليد والقيم، إلى بناء أسري يعمل فيه كل فرد في موضع، فالأم اضطرت للخروج إلى العمل لمساعدة زوجها على تحصيل العيش، وتحسين معيشة الأسرة، مما فترتب عن ذلك تناقض بين المكانات السابقة والأدوار الجديدة، مما أدى إلى تقلص في وظائف الأسرة، وعهدت التنشئة الاجتماعية للطفل لمؤسسات تربوية أخرى؛ كالمدارس ودور الحضانة، لتصبح هي التي تتولى تربية الأبناء أكثر من الأسرة، وانعكس كل ذلك على تغير القيم الأسرية، خاصة مع تلاشي السلطة الأبوية، ليسود محلها نوع من الديمقراطية وحرية التصرف، هذه القيم التي تشكل أدق خصوصيات الأسرة الجزائرية.

ويمكننا تلخيص أهم أساليب التربية الأسرية الممارسة في الأسرة الحديثة فيما يلي:

أ- أسلوب الحماية الزائدة:

وهذا الأسلوب نجده كثيرا داخل الأسرة الجزائرية الحديثة، فنجد كثير من الآباء ينتهجون هذا الأسلوب، فيقومون بالحماية الزائدة للطفل وتدليله بصورة مبالغ فيها، وتوفير له كل طلباته بعقلانية أو دون عقلانية، والخوف عليه من العلاقات الخارجية، حيث يتدخل الوالدين في شؤونه باستمرار لحد يقومون نيابة عنه بواجباته، ومن ثم لا تتاح له فرصة اختيار أنشطته المختلفة بنفسه، ليجد في

المستقبل صعوبة في تحمله المسؤولية، كما نجد بعض الأمهات يبالغن في هذه الحماية لحد إظهار الطفل بمظهر المتفوق، فإذا سئل عن شيء ما تجيب الأم بالنيابة عنه، وهذا لشعورها بإبرازه بمظهر الذكي، وهذا يعود بالسلب على الطفل فيجعل منه فاقدا لروح المبادرة، كما ينشأ في الغالب كثير الاعتماد على الغير قليل الاعتماد على نفسه ويتسم بالغيرة وبالعناد والتحدي للكبار وللصغار. وهذا الأسلوب يؤدي إلى إعاقة النمو الاجتماعي للطفل، كما تؤدي الحماية الزائدة إلى الإضرار بعلاقة الطفل بأصدقائه.

ب- أسلوب الإهمال:

ويتمثل في اللامبالاة بنظافة الطفل أو عدم إشباع حاجاته الضرورية والفيزيولوجية والنفسية، وعدم إثابته وتشجيعه عندما ينجز عملا، وقد بينت العديد من الدراسات خاصة في علم الاجتماع التربوي، أن الابن الذي يتحصل على نتائج جيدة وتقابل هذه النتائج من طرف الأولياء بنوع من اللامبالاة دون شكر أو تشجيع، تولد لديه نوع من السخط والغضب وتدفعه إلى إهمال دروسه، وتكون النتائج عكسية وتقهقر في تحصيله ونفس الشيء عندما يتحصل الإبن على نتائج ضعيفة ولا يوليها الأولياء أي ملاحظة، فهذا يزيد في تدهور تحصيل الابن فهو يشعر بأن الدراسة غير مهمة وأنها لو كانت كذلك لمل قابل الأولياء نتائجه بتلك الكيفية[13].

فيتمثل الإهمال إذن؛ من عدم التوجيه والضبط والإشراف، ومثل هذا الإهمال منتشر بكثرة داخل الأسرة الجزائرية، والذي يفقد الطفل الإحساس بمكانته عند أسرته ويفقد الإحساس بحبهم له وانتمائه إليهم، كما ينعكس سلبا على شخصيته وعلى تكيفه وعلى نموه النفسي والاجتماعي، فغالبا ما يترتب على هذا الاتجاه شخصية قلقة مترددة، تتخبط في سلوكها بلا قواعد أو حدود فاصلة واضحة، وغالبا ما يحاول أن ينضم إلى جماعة يجد فيها مكانته ويجد فيه العطاء

والحب الذي حرم منه في أسرته، فيلقى التشجيع من طرف جماعته المؤيدة على أي عمل يقوم به ايجابيا كان أو سلبيا.

إن الأسلوب المهمل هو نتيجة لضعف لشخصية المربي في الأسرة، وبالتالي يترك الأطفال يتصرفون كما يحلو لهم، وأما بالنسبة للأسلوب الرافض؛ فهو يدخل ضمن هذا الأسلوب أيضا(المهمل)، فهو يكون نتيجة للعلاقات القائمة بين الأبوين المتصفة بالمشاجرة والاضطراب وعدم التفاهم.

إن هذا الأسلوب يمتد على الشكل التالي [14] :

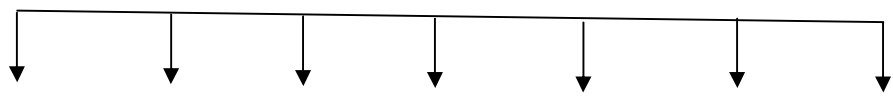

مهمـل غير مبال متساهل متسامح فوضوي نابـذ **رافض**

شكل رقم 01: يوضح أهم أوجه الأسلوب المهمل

وأسوأ منطقة في هذا الأسلوب هي التي تقع بين طرفي الشكل أعلاه: أي بين المهمل والرافض، وأحسن منطقة هي الدرجة الواقعة في الوسط أي المتسامح، لأن الطفل الذي ينتمي لأحد الطرفين يكون معرضا لعدم التكيف، وبالتالي معرضا لمختلف الانحرافات.

جـ- الأسلوب المتذبذب:

نجده كثيرا داخل الأسرة الجزائرية الحديثة، والذي ويتضمن التقلب في معاملة الطفل بين اللين والشدة، وهذا يعني أن سلوكا معينا يثاب عليه الطفل مرة، ويعاقب عليه مرة أخرى، كذلك قد يتضمن هذا الاتجاه حيرة الأم نفسها إزاء بعض ما يمكن أن يصدر عن الطفل من سلوك، بحيث لا تدري متى تثيب الطفل ومتى تعاقبه، "كما يتضمن هذا الاتجاه التباعد بين اتجاه كل من الأب والأم في تنشئة الطفل وتطبيعه اجتماعيا"[15].

فالوالدين؛ قد يمدحان سلوك الطفل في موقف ويذمان السلوك نفسه في موقف آخر بحيث لا يستطيع الطفل التمييز لما امتدح على هذا السلوك مرة، وعوقب على السلوك نفسه مرة أخرى، وقد يكون هذا التذبذب نتيجة اختلاف الأب و الأم في معاملة الطفل؛ فالأم تعامل طفلها بحنان والأب يعامله بالقسوة والشدة والعقاب، دون مراعاة الآثار السيئة لمثل هذا الاختلاف في المعاملة من الأم والأب على شخصية الطفل، فيصبح دائم القلق غير مستقر، ويترتب على هذا شخصية متقلبة ومتذبذبة، كما يترتب على هذا الاتجاه شخصية ازدواجية منقسمة على نفسها، وقد يكون مع أسرته بخيلا دائم الغضب، ولكنه مع أصدقائه شخص آخر كريم متسامح، ضاحك مبتسم ...الخ.

د – الأسلوب الديمقراطي:

هذا الأسلوب وإن كان متداولا إلا أنه قليل؛ وهو أسلوب الحوار بين الوالدين وبين الأبناء أنفسهم، ويظهر هذا الأسلوب من خلال مناقشة قضايا تهم الأسرة وقضايا تهم الأبناء حسب السن ومرحلة النمو، والتسامح الذي يبرز بين أفراد الأسرة وتجاوز أخطاء الأبناء والاهتمام بكل ما يتعلق بقضايا أفراد الأسرة، والابتعاد عن أسلوب العنف والردع والمعاقبة لأتفه الأسباب، ومحاولة نشر جو الحرية في إطار القيم الاجتماعية المحفزة على اتخاذ هذا الأسلوب، والذي يؤثر على التكيف الاجتماعي للطفل ويصبح أكثر ايجابية خارج البيت ومع الآخرين وعلى الأنشطة الاجتماعية، وتشير الدراسات إلى أن استخدام الأسلوب الديمقراطي في

التنشئة، يؤدي إلى زيادة إنتاجية الأبناء، ويكونوا أقل اعتداء على ممتلكات الغير، وأكثر مواظبة وأكثر اعتمادا على النفس، وميولا إلى الاستقلال متحلين بروح المبادرة. وعلى هذا فإن هذا الاتجاه يعد الأمثل؛ حيث يترتب عليه غالبا شخصية متزنة سوية.

2-2-3- أساليب التربية في الأسرة المتحولة:

إن الأسرة المتحولة؛ هي تلك الأسرة التي نالت حظا من التغير ولكنه لم يكن شاملا ومتوافقا؛ فلقد أدى تغير الأسرة من ممتدة إلى نووية إلى تنصل بعض الأسر عن عاداتها وتقاليدها كوسائل التربية، فأصبحت ملتزمة بعادات وتقاليد غربية لا تمد لدينها ولا لقيمها بأية صلة (اللباس، المأكل، العادات، السلوك، اللغة، الموسيقى،...)، ونتيجة لهذا التغير الاجتماعي الذي أثر على نمط الأسرة، وبالتالي على أساليب التربية التي تنتهجها، مما أدى إلى نشوء جيل من الأبناء يختلفون عن بعضهم البعض في سلوكياتهم وأخلاقياتهم، فمنهم من يقلد الغرب في الملبس والتصرفات، ومنهم من يكون ملتزما بعادات وتقاليد أسرته، ومنهم المنحرف.

كما أن التغير الاجتماعي والاقتصادي أدى إلى نشوء طبقات اجتماعية مختلفة "برجوازية، ثقافية، عادية"، وكل طبقة لها ميزاتها الثقافية وأساليب حياتها الخاصة بها، فهذه الصورة من التنوع، توحي بعدم إتباع أسلوب تربية أسرية واحدة بين اسر المجتمع الواحد، وعلى العموم فهذا النوع من الأسر ينتهج المربي فيه إضافة إلى أسلوب اللامبالاة والمهمل، أسلوب الحماية الزائدة والتدليل، فالطفل في هذا النمط الأسري كل طلباته مجابة، وحريته لا حدود لها، فهو لا يحاسب لا على ساعات تواجده خارج المنزل ولا على كمية النقود التي يصرفها يوميا، ولا على طريقة كلامه ولا لبسه، وهذا راجع في أغلب الأحيان لغياب الوالدان وتولي مربين متخصصين يقيمون في المنزل بهذه بوظيفة تربيته،

فالأسلوب التربوي المتبع في هذه الأسرة منوط بالمربي الذي أوكلت له هذه المهمة الحساسة.

ثالثا: أسباب تغير أساليب التربية في الأسرة الجزائرية:

هناك أسباب متعددة أدت إلى تغير أساليب التربية في الأسرة الجزائرية، فالأسرة تتحكم فيها متغيرات داخلية وخارجية تؤثر في وظيفتها التربوية، واعتمادها لأساليب تربوية محددة ، وأبرزها هذه الأسباب مايلي:

3-1- المستوى التعليمي والثقافي للأسرة:

يؤثر المستوى التعليمي والثقافي للزوجين على مدى إدراكهما لحاجات الطفل وكيفية إشباعها، والأساليب التربوية التي يتبعانها في معاملة الطفل، كما يؤثر هذا المستوى أيضا في إقبالهم على الجهات المتخصصة في تربية الأطفال، وهذا ما نجده عند الكثير من الأسر المتعلمة، حيث تقبل على الاستعانة بالكتب الخاصة بتربية الأطفال، باعتبارهم يدركون أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل في بناء الشخصية السوية، على غرار الأسر الغير متعلمة، التي لا تملك أدنى فكرة عن التربية، سوى ما تلقاه الوالدان من قبل، لتبقى الجدة هنا والجد، هما المرجعان اللذان لا غنى عنهما في تربية الطفل خاصة بالنسبة للطفل الأول.

ومع موجة التغير، وزيادة وعي الأسرة الجزائرية بضرورة تدريس الفتاة مثلها مثل الذكر، ارتفع المستوى التعليمي للوالدين، وأصبحت كثير من الأسر تعي أضرار استخدام أسلوب القسوة والتسلط الذي يعتمد على الضرب والعنف كأساليب لتربية الطفل في الأسرة، فأصبحوا يبتعدون عن مثل هذه الأساليب التي كانت شائعة سابقا، ويستخدمون مكانها أساليب حديثة يتقدمها الأسلوب الديمقراطي المبني على التفاهم والحوار، إلا أن هذا لم يمنع وجود أسر لا تزال تستخدم الطرق التقليدية في تربية أبنائها، وهذا ما يجعل أبناء جيل واحد غير سوي سلوكيا وأخلاقيا.

3-2- الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة:

ترتبط أساليب التربية الأسرية عادة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والتي تتطلب أنواعا مختلفة من الملكات الشخصية، والأسرة في ظل هذه الأوضاع تحاول أن تغرس هذه الملكات في أبنائها، ليصبحوا مكيفين تكيفا مناسبا لاقتصاد العيش في الأسرة الحديثة(16).

فلقد أدى التغير الاقتصادي والاجتماعي إلى نشوء طبقات اجتماعية مختلفة، وكل طبقة لها ميزاتها الثقافية وأساليب تربوية خاصة بها، فالأسرة صاحبة الدخل الضعيف تميل للأسلوب المتسلط؛ فهي تلقن أبنائها ليصبحوا مسؤولين، قادرين على العمل للحصول على القوت اليومي، فلا مكان للعاطفة فيها، أما الأسرة صاحبة الدخل المتوسط؛ فتميل لتطبيق الأسلوب الديمقراطي في تربية أبنائها، ولا ضرر في إظهار الحنان والعاطفة للطفل بين حين وآخر، مع تطبيق الثواب والعقاب، فيثاب الطفل في سلوكه الجيد، ويعاقب عند قيامه بأي خطأ، مع عدم المبالغة في عقابه، أما الأسلوب الشائع الذي تتبعه الأسرة صاحبة الدخل العالي، فهو يتأرجح بين أسلوب التدليل والأسلوب المهمل والمتذبذب، فانشغال الوالدان بالأعمال، والتي تتطلب في غالب الأحيان الغياب عن البيت لفترات طويلة وبصفة دائمة، وتوكيل مربيات للقيام بمهمة التربية، ينشئ الطفل مكتسبا شخصية غير متزنة، عدائية، أنانية في غالب الأحيان، ويبقى مصيره مرتبط بشخصية المربي نفسه.

3-3- حجـم الأسرة:

يؤثر حجم الأسرة في نوع أسلوب التربية المتبع في الأسرة، فوجود عدد قليل من الأفراد يساهم في تركيز العناية أكثر بالطفل ويزيد معدل الإنفاق عليه، ويحظى بوقت اكبر من الرعاية والاهتمام، والقرارات التي تصدرها هذه الأسرة تخص الأطفال مباشرة وتضع في اختيارها ما يؤمن مستقبلهم.

3-4- عمل المرأة خارج المنزل:

من ابرز التغيرات التي ظهرت أثارها على تركيب الأسرة ووظائفها تلك المتعلقة بعمل المرأة خارج المنزل، فقد أدى تعليم المرأة وتشغيلها في مختلف الوظائف الإدارية والصناعية والتعليمية وغيرها من القطاعات، إلى تعدد طرق الاهتمام بالطفل وتعدد أساليب التربية الأسرية، فقد أدى ذلك إلى نقل جوانب عديدة من التربية الأسرية خارج المنزل، وأحيانا أخرى تتخلى بعض الأسر عن هذه العملية نهائيا، لتقوم بها مربيات متخصصات في بيوتهن، أو تعمد إلى الاستعانة بدور الحضانة، التي تستخدم بدورها العديد من أساليب التربية تتعدد بتعدد برامج دور الحضانة وشخصية وتكوين المربيات.

"وقد دلت نتائج العديد من الدراسات أن اتجاه الأم نحو أسلوب تربية دون الأخر يتوقف على اتجاهها نحو العمل، فالأمهات المشتغلات اللائي يستمتعن بعملهن؛ هن اقل شدة في إتباع النظام والأسلوب المتسلط، كما أن أبناء المشتغلات أكثر طموحا من غيرهم[17] . وهذا لا يمنع تطبيق بعض الأمهات المشتغلات للأسلوب المتذبذب والمهمل والتدليل في حالات أخرى في تربية أبنائهن بوعي وبدون وعي.

الخاتمة:

ليكون الأسلوب التربوي المتبع في الأسرة ذا فاعلية يتطلب الأمر أن يكون هناك وعي عند كل من المربي والطفل، فالأول يجب أن يدرك بأن الأسلوب الذي يعتمد الثواب- العقاب مع الطفل له هدف محدد، كذلك بالنسبة للطفل يجب أن يدرك بأن الثواب الذي يقدم له هدفه تدعيم السلوك الطيب والأخلاق الحميدة، فهو يجازى على ذلك ويرجى منه أن يأتي بمثل ذلك ويستمر فيه، وإذا عوقب يجب أن يعرف كذلك بأن ذلك العقاب إنما هو جزاء عمله –سلوكه السيء- الذي يرجى ألا يأتي بمثله ويبتعد عنه حتى لا يعاقب مرة أخرى، فالثواب والعقاب على السواء هو من أجل هدف محدد يعمل على تحقيقه الوالدان، ويجب أن يدرك معناه الطفل.

إن النتيجة الايجابية المرجوة من تطبيق الأسلوب الايجابي التربوي المتبع في الأسرة، يتوقف على مدى إدراك كلا الطرفين لمدى نجاعة الأسلوب المتبع، فكلما كان سبب العقاب أو سبب الجزاء واضحا للطفل، كلما كانت له فاعلية وحقق الفائدة المرجوة منه.

❖ الهوامـــش والمراجع

(1) أحمد سالم الأحمر: **علم اجتماع الأسرة**، (بين التنظير والواقع المتغير)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت (لبنان)، 2004، ص16.

(2) عبد القادر القصير: **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية**، (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت(لبنان)، 1999، ص33.

(3) Josef Sumpf et Michel Hugues: **Dictionnaire de Sociologie**, Librairie, Larousse, Paris, 1973, P131.

(4) سيد رمضان: **إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية (مصر)، 1999، ص25.

(5) سورة النساء: الآية 01.

(6) مصطفى بوتفنوشت، ترجمة: أحمد دمري: **العائلة الجزائرية** (التطور والخصائص الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1984، ص37.

(7) المرجع السابق، ص38.

(8) حليم بركات: **المجتمع العربي العاصر**، ط3، مركز الدراسات والوحدة العربية، 1981، بيروت، ص178.

(9) مصطفى بوتفنوشت: مرجع سبق ذكره، ص37.

(10) محمد أحمد بيومي، عفاف عبد العليم: **علم الاجتماع العائلي**(دراسة التغيرات في الأسرة العربية)، دار المعرفة الجامعية، 2008، (د م)، ص65.

(11) أحمد الهاشمي: **علاقة الأنماط السلوكية للطفل بالأنماط التربوية الأسرية**، دراسة ميدانية، دار قرطبة، 1425هـ- 2004، ص67.

(12) جليل وديع شكور: **تأثير الأهل في مستقبل أبنائهم على صعيد التوجيه المهني**، دراسة ميدانية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، ب ت، ص 95.

(13) الفضيل رتيمي: **التنشئة الاجتماعية وإشكالية العقلانية داخل المنظمة الصناعية**، دراسة ميدانية بمجمع صيدال المدية، أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص72.

(14) أحمد الهاشمي، مرجع سبق ذكره ، ص54.

(15) هدى محمد قناوي: **الطفـل (تنشئته وحاجاته)**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2005، ص 250.

(16) أحمد الهاشمي: مرجع سبق ذكره ، ص68.

(17) محمد أحمد بيومي، عفاف عبد العليم: مرجع سبق ذكره، ص68.